DE GAULLE (1890-1970)

الفصل السادس عشر

ديجول والحرب

يُعد شارل ديجول، واحداً من أبرز أبطال الحرب العالمية الثانية، شأنه في ذلك شان ونستون تشرشل، رئيس وزراء بريطانيا، وفرانكلين روزفلت، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وجوزيف ستالين، رئيس الاتحاد السوفيتي، وهم الأبطال الذين أحرزوا الانتصار للحلفاء (بريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية)، على دول المحور (ألمانيا، وإيطاليا، واليابان) في الحرب العالمية الثانية.

وقد ضرب شارل ديجول المثل في التحدي وإرادة الصمود، رغم كل ما حاق ببلاده، فرنسا، على أيدي الألمان، واستسلام الحكومة الفرنسية الكامل؛ فقد فرّ ديجول إلى لندن، وهناك أقام حكومة في المنفى، وواصل الكفاح والمقاومة بمساعدة الحلفاء، إلى أن تمكن من تحرير فرنسا، والفرح بثمار النصر. وقد تميز ديجول، منذ البداية، بالعناد والإصرار على الصمود، تجلى ذلك منذ لحظة دخول الألمان فرنسا. ففي مارس ١٩٣٩، أرسل هتلر إلى بولندا، يطالب بضم أجزاء من أراضيها إلى ألمانيا، واتبع ذلك بإنذارات إلى الحكومة البولندية، ثم لم يترك لها فرصة الرد، بل أسرع بقيادة الجيوش الألمانية لغزوها، في أول سبتمبر ١٩٣٩. ولما كانت كل من بريطانيا وفرنسا قد سبق أن تعهدتا بالدفاع عن بولندا؛ فقد أعلنتا الحرب على ألمانيا، في ٣ من سبتمبر ١٩٣٩، ولكن دون تحرك جدي؛ فقد كانتا تأملان أن يتمكن الاتحاد السوفيتي من مساعدة بولندا، ولكن خاب أملهما؛ إذ وقّعت ألمانيا والاتحاد السوفيتي معاهدة عدم اعتداء، واتفقتا سراً على تقسيم بولندا فيما بينهما. واقتصر التحرك الفرنسي على إرسال قوات إلى خط ماجينو،

(وهو حزام من الصلب والقلاع الحصينة شيدته فرنسا، بعد الحرب العالمية الأولى، على طول حدودها مع ألمانيا)، وقابلها هتلر بحشد قوات ألمانية على خط سيجفريد، (وهو الخط الذي كان هتلر قد بناه مقابل خط ماجينو)، ولم يحدث اشتباك بين قوات الطرفين، إلى ١١ من مايو ١٩٤٠، حين انطلقت عشر فرق ألمانية مدرعة، وست فرق آليات في اتجاه الغرب، وراحت تزحف بسرعة، عبر الأراضي البلجيكية، والتفت حول خط ماجينو، وفوقها مظلة من الطائرات الألمانية تحميها، وتسبقها، وتمهد لها السبيل، بإلقاء قنابلها على مواقع الخطوط الخلفية الفرنسية، وتقصف كذلك خطوط السكك الحديدية، والطرق البرية الرئيسية، لتمنع وصول الإمدادات والمؤن إلى القوات الفرنسية، وعبرت سبع فرق ألمانية نهر الأردين، وتمكنت من الوصول إلى نهر «الموز»، خلال ثلاثة أيام. ثم في اليوم التالي ١٤ من مايو ١٩٤٠، واصلت زحفها، فعبرت النهر من جهات ونيانت، وجيفيت، ومونترمي، وسيدان، وحين حاولت الفرقة المدرعة الفرنسية الأولى التصدي للهجوم، في يوم ١٦ من مايو ١٩٤٠، في غربي منطقة تامور، حاصرتها المدرعات الألمانية، وسحقتها تماماً. وسارعت القيادة الفرنسية إلى نقل الفرقة الثانية المدرعة بالقطار إلى هرسون، ولدى وصولها، دمرها الألمان عن آخرها. وحدث الشيء نفسه مع الفرقة الثالثة المدرعة.

في ١٨ مايو ١٩٤٠، وصلت الفرق الألمانية السبع إلى منطقة «سان/ كانتان»، وهناك تصدت لها الفرقة الرابعة المدرعة، وهي الفرقة التي تولى شارل ديجول قيادتها، اعتباراً من ١١ من مايو ١٩٤٠، وصمدت تلك الفرقة أمام الهجوم الألماني، بل كبدت الألمان خسائر كبيرة، وتمكنت من التقدم نحو عشرين ميلاً، ولكنها اضطرت إلى التراجع؛ بسبب القصف المركز، من طائرات الـ «ستوكا» الألمانية.

وفي اليوم التالي ١٩ من مايو ١٩٤٠، تقدمت قوات ديجول مسافة ميل، في هجوم مضاد، ولكنها اضطرت إلى التراجع مرة أخرى. وظلت هذه القوات صامدة أمام القوات الألمانية تسعة أيام أخرى، أي إلى يوم ٢٨ من مايو ١٩٤٠، بل حاولت في ذلك اليوم تدمير رأس الجسر، الذي أقامته القوات الألمانية عبر نهر السوم ، عند أبفيل، ولكنها فشلت. وفي ذلك الوقت جاءت الأخبار باستسلام الجيش البلجيكي، بجميع أسلحته إلى الألمان، وانسحاب الجيش البريطاني من دنكرك، ورغبة قيادة الجيش الفرنسي في

الاستسلام، وكل هذا، إضافة إلى الخسائر الفادحة في الأرواح والعتاد، وعدم وصول إمدادات، فتّ في عضد ديجول وقواته، وجعل اليأس يدب إلى قلوبهم، وكان لابد من الانسحاب.

وبدأ الهجوم الألماني العنيف في ٥ من يونيه ١٩٤٠، وتمكنت القوات الألمانية من عبور نهر السين، من الشمال والجنوب، ومن ثم تمكنت من دخول باريس ، خاصة أن ذلك تواكب مع إعلان إيطاليا الحرب على فرنسا.

أراد بول رينو، رئيس وزراء فرنسا، مواصلة المقاومة والاستمرار في الحرب، لكن كثيراً من كبار رجال القيادة العسكرية أبدوا يأسهم، وأعلنوا ألاّ فائدة من ذلك، فاستقال بول رينو، وتشكلت حكومة فرنسية جديدة، قبلت الاستسلام، وإبرام الهدنة مع ألمانيا في ٢٢ من يونيه ١٩٤٠. وبموجب تلك الهدنة، احتلت ألمانيا ثلثي شمال فرنسا، والشريط الغربي منها، على طول المحيط الأطلسي، ولم يتبق لفرنسا إلا الجنوب، وأصبحت فيشي هي عاصمة هذا الجنوب، وتولى المارشال هنري بيتان، وهو أحد أبطال الحرب العالمية الأولى، رئاسة حكومة فيشي، فأعلن تعاونه الكامل مع الألمان، الذين بادروا في نوفمبر عام ١٩٤٢، إلى احتلال بقية فرنسا كلها.

لم يقبل اللواء شارل ديجول، الذي عُيِّن وكيلاً لوزارة الدفاع، اعتباراً من ٥ من يونيه ١٩٤٠، هذا الوضع، وأبت وطنيته وحبه لفرنسا أن يرضى بالاستسلام للألمان، بعد تلك الهزيمة الساحقة، التي سقط فيها نحو ٩٠ ألف جندي فرنسي قتلى، وسقط نحو ٢٠٠ ألف آخرين جرحى، وبلغ عدد الأسرى والمفقودين نحو مليوني شخص، وسقطت باريس، وسُرِّح الجيش الفرنسي، ولم يبق منه إلا مائة ألف فرد فقط، لا يُسمح لهم باستخدام أي مركبات سوى الخيول والدراجات. ومن ثم، عزم شارل ديجول على تولي إدارة المعركة، من مسرح آخر، فلاذ بالفرار، في إحدى طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني إلى لندن، ومن هناك أدى دوره البارز في الحرب العالمية الثانية، وفي تحرير فرنسا، ليتبوأ منزلة الزعيم الفرنسي الأول في القرن العشرين.

كان شارل ديجول، عسكرياً من الطراز الأول، وكان وطنياً محباً لبلده فرنسا. ولد في ٢٢ من نوفمبر ١٨٩٠، في قرية كولومبي القريبة من مدينة ليل Lille، بفرنسا. نشأ نشأة متدينة؛

فقد كان أبوه ـ أستاذ الفلسفة والأدب في معهد الجزويت - يصحبه دائماً إلى الكاتدرائية القديمة، المبنى الرئيسي في مدينة ليل. بعد أن أتم ديجول تعليمه الجامعي في كلية سان سير Saint-Cyr العسكرية، التحق بالجيش في عام ١٩٠٩، ضمن فوج المشاة الثالث والثلاثين، في أرّاس، تحت إمرة العقيد هنري بيتان، وشارك في الحرب العالمية الأولى، ضابطاً في سلاح المشاة، وأبلى بلاءً حسناً، وجُرح ثلاث مرات، وأُسر في مارس ١٩١٦

لدى عودته إلى فرنسا في ١١ نوفمبر ١٩١٨، في عمليات تبادل الأسرى، عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى في عام ١٩٢١، عمل في هيئة أركان حرب الجنرال فيجان، في بولندا، ثم عاد إلى فرنسا، ليتولى تدريس التاريخ العسكري، في كلية سان سير، حتى اختير لحضور فرقة دراسية في كلية أركان الحرب، ثم صار عضواً في الأمانة العامة للدفاع الوطني، وهي الهيئة الدائمة، التي يعتمدها رئيس الوزراء؛ لوضع الخطط والدراسات الحربية. ثم أُرسل إلى الشرق في جولة؛ لدراسة الأحوال هناك، ثم عاد إلى فرنسا عام ١٩٣٢، ليتولى لأربع سنوات، منصباً رئيسياً في وزارة الدفاع. وطول تلك الفترة،عكف شارل ديجول على متابعة التطورات السياسية والعسكرية في أوربا، وأخذ يدون أفكاره وآراءه في مجموعة من المؤلفات، نشرها خلال الفترة ١٩٢٤ ـ ١٩٤٠، ضمَّنها تحليلات إستراتيجية وعسكرية قيمة متميزة، ومن هذه المؤلفات:

١. كتابه «الخلاف في صفوف العدو»، نشره عام ١٩٢٤، واستعرض فيه طبيعة العلاقات بين القوى العسكرية والمدنية في ألمانيا.

٢. وكتابه «حد السيف»، نشره عام ١٩٣٢، وهو عبارة عن مجموعة محاضرات، كان قد ألقاها في جامعة السربون، تبين مفاهيمه وأفكاره،حول موضوع القيادة والتنظيم، وبيَّن أنه ليس من المحتم دائماً على القائد، تنفيذ أوامر القيادة العليا حرفياً، بل عليه في المعركة، أن يتصرف على حسب ظروف المعركة، لتحقيق النصر، بحيث يجعل رجاله، على اختلاف مشاربهم وأفكارهم، يعملون معه كفريق واحد. ثم لا بد أن يتميز بالقدرة على السيطرة على الأحداث والتأثير فيها، وأن يتحمل مسؤولية ما يترتب على أعماله، وألاّ يظهر انفعالاته. ثم انتقل إلى الكلام عن تاريخ فرنسا العسكري، وأسهب في تحليل أهم المعارك، التي خاضتها القوات الفرنسية في مختلف العصور. ودرس أسباب

الهزيمة، وما كان ينبغي فعله لتحويل الهزيمة إلى نصر.

٣. وكتابه «نحو الجيش المحترف»، نشره عام ١٩٣٤، ونادى فيه بوجوب الإسراع في إعداد جيش فرنسي محترف، جاهز للتصدي للمخاطر المستقبلية، يتميز بالحركة السريعة، والقدرة الفائقة على المناورة بالأسلحة الحديثة الفاعلة، خاصة الآليات والمدرعات، على أن يكون هذا الجيش في ظل زعيم محنك، وقائد قوي، ومعه نخبة مختارة من القادة الأكفاء. وتحدث عن الطبيعة الجغرافية للمنطقة، وهي الطبيعة التي تجعل من السهل غزو فرنسا من الشمال الشرقي، وطبيعة الأرض الألمانية، التي تسهل توجه الأطماع الألمانية إلى الاندفاع جهة الغرب، والوصول إلى باريس عبر بلجيكا، (وهو ما تحقق بالفعل بعد ذلك)، وضرورة أن تكون فرنسا في حالة استعداد دائم، وتأهب مستمر، مع إعداد مقاومة شعبية جاهزة ومدربة.

٤. وكتابه « فرنسا وجيشها »، نشره عام ١٩٣٨. انتقد فيه الجهاز العسكري الإداري بشدة وركز فيه، كما في سائر كتبه، على فكرة واحدة، وهي عظمة فرنسا، وبيَّن أن مصير فرنسا معلق بجيشها، وهو يعاني حالياً من تقصير وإهمال شديدين. كما بيَّن أن فرنسا لا يمكنها أن تصبح دولة عظمى، إلاّ بالقضاء على آفة تعدد الأحزاب، وأن عليها دوراً قيادياً في قارة أوروبا، بسبب وضعها التاريخي. وقد أثار الكتاب موجة عارمة من السخط، وتسبب في أزمة بين ديجول ورؤسائه العسكريين، وأُوقف نشر الكتاب حتى عام ١٩٤٥، حين أُعيد نشره مرة أخرى.

ولقد عبَّر شارل ديجول، في مؤلفاته تلك، عن اعتراضه على أسلوب القيادة الميدانية الثابتة، وطريقة إدارة الحرب، وهاجم فكرة فرنسا في إقامة خط ماجينو، قائلاً:

« إن أي أمة بمقدورها أن تبني خطاً دفاعياً حصيناً تتحطم عليه هجمات أعدائها، ولكنها لا تستطيع أن تجبر عدوها على شن هجومه، عبر هذا الخط؛ فالعدو ليس بالغفلة التي تجعله يفعل هذا. ومن ثم، فإن اعتماد فرنسا على هذا الأسلوب، يعرض سلامتها للخطر، ويحد من فاعلية جيشها ».

وأوضح شارل ديجول أن خط ماجينو محدود العمق، وعيبه الأساسي أنه يترك شمال شرقي فرنسا كله مكشوفاً أمام الأعداء، بما يمكنهم من الالتفاف حوله، (وكان

هذا ما حدث بالفعل في الحرب العالمية الثانية)، فضلاً عن أن هذا الخط تطبيق نموذجي لفكرة الحرب الثابتة، وهي فكرة خاطئة لا تناسب مقتضيات الحرب الحديثة، التي تتسع ميادينها في البر والبحر والجو، والتي تتطلب إستراتيجية جديدة، تعتمد على تنوع مسارح القتال وميادينه، وسرعة الحركة، بما يواكب الاختراعات في أسلحة التدمير الحديثة، من ناحية القوة والمدى، والمفاجأة، والهجوم الخاطف، المعتمد على قوة مدرعات كافية، تضم أفراداً محترفين كاملي التدريب. وأوضح أنه، ما دامت فرنسا لن تستطيع، بحال من الأحوال، أن تساوي الألمان في القوة العددية، فلابد أن يتم تعويض ذلك من ناحية الكيف والنوع. ومن ثم، فإن فرنسا تحتاج، تحديداً، إلى ست فرق ثقيلة، وفرقة واحدة خفيفة، تتشكل جميعها، بحيث تشتمل كل فرقة على لواء مدرع من فوجين، أولهما: دبابات ثقيلة، وثانيهما: مدرعات متوسطة، إضافة إلى كتيبة مدرعات خفيفة، ولواء مشاة من فوجين، وكتيبة قناصة، ولواء مدفعية مزود بقطع، تستطيع التحرك في جميع الارتفاعات، ومؤلف من فوجين يستخدمان، بالتوالي، مدافع طويلة وقصيرة المدى، ومدافع مضادة للطائرات. على أن تضم الفرقة كذلك، فوج استكشاف، وكتيبة هندسية، وكتيبة استخبارات، وكتيبة تمويه، وكلها مزودة بمعدات حديثة سريعة.

يضاف إلى ذلك وجود احتياطي عام من الدبابات والمدافع الثقيلة، والمهندسين، ووسائل النقل والتمويه. ويحمي كل ذلك سلاح طيران قوي، قادر على الرصد والمطاردة والانقضاض. ولابد أن يكون مجموع أفراد الجيش مائة ألف فرد عامل، فضلاً عن أفراد الاحتياط.

ووصف أسلوب خوض المعركة بقوله: يتم حشد الجيش في ليلة واحدة، ليتحرك بسرعة من نقطة ما، في هجوم تبدأ به ثلاثة آلاف دبابة، بطول جبهة تبلغ خمسين كيلومتراً، تساندها المدفعية، وخلفها المشاة بأسلحتهم الآلية، وفوقهم الطائرات تتقدمهم وتحميهم. حتى إذا اخترق العدو خط ماجينو، يجد جيشنا يحيط به. ثم أوضح أهمية تأمين وسائل الاتصال اللاسلكية، باعتبارها وسيلة الربط الأساسية، بين عناصر الجيش. وختم كتابه بأن هذه التطورات المقترحة لابد لها من قائد كفء، مشهود له بالجرأة والموهبة والقدرة على التجديد.

وفي عام ١٩٣٧، تولى قيادة «آلاي» الدبابات الرقم (٥٠٧) في مدينة متز، وهو برتبة عقيد. ثم في عام ١٩٣٩، تولى قيادة لواء الدبابات الملحق بالجيش الفرنسي في اللورين. وفي مايو عام ١٩٤٠، رقي إلى رتبة العميد، وتولى قيادة الفرقة الرابعة المدرعة، قبيل الهجوم الألماني على فرنسا بأيام. ثم اختير وكيلاً لوزارة الحربية الفرنسية، فحضر المؤتمرين، اللذين عقدا في لندن للتشاور بين حكومات الحلفاء، وهناك التقى ونستون تشرشل، رئيس وزراء بريطانيا، وتوطدت الصداقة بينهما.

وبوجه عام، كان ديجول عسكرياً من الطراز الأول، وخبيراً إستراتيجياً، وصاحب نظريات، نالت إعجاب الجميع، حتى أعدائه، ونال شهرة ذائعة لبلائه المتميز في الحرب العالمية الأولى، وفي حربه ضد الروس في بولندا.

وكان ديجول يشعر بالمرارة والألم، وهو يرى القيادات، في بلاده، لا تأبه بأفكاره ومقترحاته؛ فقد كان يظن أن الجميع لابد أن يسارعوا إلى تنفيذ ما يقوله ويقترحه، خاصة حين أرسل فرانسوا بونسيه، سفير فرنسا في ألمانيا، ومعه الملحق العسكري الفرنسي، تقارير العرض العسكري الألماني الضخم في شوارع برلين، في مايو ١٩٣٧، وحملت هذه التقارير الانطباع بأن القوات الألمانية لا يمكن أن يقف في طريقها شيء، إلاّ قوات مماثلة لها. وكذلك، حين جاءت الأخبار، في ١١ من مارس ١٩٣٨، أن القيادة الألمانية أرسلت إلى فيينا فرقة آلية، أثارت الرعب عند النمساويين، لدى رؤيتهم إياها، ودخلت تلك الفرقة، وعلى رأسها هتلر نفسه، دخول الظافرين.

وتوالت التقارير، بعد ذلك، تبين أن الدبابات الإيطالية، والطائرات الهجومية الألمانية، تحقق النصر في كل أرض تدخلها، وأن القوات الألمانية قد اجتاحت تشيكوسلوفاكيا، في سبتمبر ١٩٣٨، وخطب هتلر في برلين قائلاً:

«الآن أستطيع أن أعلنها صريحة، وأنتم جميعاً تعلمون ذلك، لقد حققنا درجة من التسلح، لم يسبق للعالم أجمع أن شهد مثلها قط».

وجاءت الأخبار باجتياح الألمان بولندا كذلك، في سبتمبر عام ١٩٣٨، وفرنسا لا تحرك ساكناً، ولا تفعل شيئاً. ويقول شارل ديجول: «كانت فرنسا خلال هذه المآسي المتتالية مثل الضحية، التي تنتظر دورها في الذبح». بل وسارع بول رينو إلى إعلان أن

هذا الجمود والانتظار له فوائده الجمة، بقوله: «إننا لنحتفظ، عن طريقه، بوحدة أراضينا، دون خسائر».

في ٢٦ من يناير ١٩٤٠، حاول شارل ديجول حث الحكومة الفرنسية على التحرك؛ فوجَّه إلى ثمانين شخصية بارزة في الحكومة والقيادات العسكرية مذكرة يتكهن فيها بأن الألمان سيبادرون بالهجوم بقوات آلية هائلة براً وجواً، وأن بإمكانهم أن يخترقوا الجبهة الفرنسية في أي لحظة، ومن ثم لابد من حشد الوحدات الاحتياطية الممكنة، وتوحيدها معاً تحت قيادة واحدة. ولابد ألاّ يظل الشعب الفرنسي فريسة للوهم السائد بأن الجمود العسكري الراهن ينسجم مع طبيعة الحرب الجارية، وعلى العموم، مازال أمام فرنسا وقت لتتخذ الاستعداد اللازم.

ولكن هذه المذكرة لم تؤثر في شيء، ويبدو أن المسؤولين الفرنسيين لم يهتموا بها اهتماماً كافياً.

دور ديجول في الحرب من داخل فرنسا عام ١٩٤٠

في ١٥ من أبريل ١٩٤٠، طلب بول رينو، رئيس الوزراء، من شارل ديجول مقابلة الجنرال دومينك، رئيس الأركان، الذي أوضح له عزم القيادة العسكرية على إنشاء جبهة دفاعية على الأيسن والإيليت؛ لتقطع على العدو طريقه إلى باريس. وأن على ديجول التمركز مع فرقته المدرعة الرابعة، أمام منطقة لاون ، ويتلقى التعليمات من قائده المباشر، اللواء جورج، ولدى مقابلة اللواء جورج قال له:

«هيا يا ديجول، لقد واتتك فرصة العمل، التي انتظرتها طويلاً، لتنفيذ أفكارك التي يستفيد منها العدو ويطبقها».

تمركز شارل ديجول في بروبير، جنوب شرق مدينة لاون، وجاءته أنباء سحق الألمان للفرق الثلاث المدرعة الفرنسية بكاملها، ورأى مواكب اللاجئين القادمين من الشمال يُرثى لها، ومعها مجموعات من الجنود العزل، الذين قبضت عليهم القوات الألمانية أثناء فرارهم، وأمرتهم بإلقاء أسلحتهم والسير نحو الجنوب، قائلة لهم: «ليس لدينا الوقت لنأخذكم أسرى»!. ولم يزد شارل ديجول، إزاء هذا، إلاّ إصراراً على القتال والمقاومة. ووضع خطته للتقدم نحو الشمال الشرقي عشرين كيلومتراً، إلى أن يبلغ نهر

السير مونوكورنيه ، ملتقى الطرق المفضية إلى سان ـ كنتان، ولاون، ورنس، بحيث يقطع على الألمان طريق الزحف جهة الغرب.

وفي صباح يوم ١٧ مايو ١٩٤٠، وصلته ثلاثة أفواج من الدبابات، فتقدم بقواته كلها إلى مونوكورنيه، وحدثت المواجهة مع الألمان، وصمد صموداً شديداً. ثم وصل إليه، خلال النهار، الفوج الرابع قناصة، فبادر إلى استخدامه في القضاء على مجموعة من طلائع العدو على مقربة من شيفر، ولكن المدفعية الألمانية صبت نيران مدافعها من شمال السير، تساندها طائرات الستوكا، وقصفت الدبابات والشاحنات. وظلت قوات شارل ديجول صامدة، بل تمكنت من أسر ١٣٠ فرداً من الألمان. واستغل شارل ديجول الليل في إعادة انتشار قواته، وتركيزها في منافذ لاون الشمالية، كما وصلته إمدادات من الدبابات، ومعها فوج المدفعية ٣٢٣ المزود بمدافع عيار ٧٥مم، كما تم التنسيق مع اللواء «بيتييه»، قائد الفرقة الثالثة مدرعات خفيفة؛ لتقديم المساندة المدفعية.

في صباح يوم ١٩ مايو ١٩٤٠، تحرك شارل ديجول بقواته للزحف على كل من كريسي، ومورتيه، وبويي، بهدف قطع طريق لافير أمام العدو. وبعد عدة مناوشات، اضطر إلى التراجع، أمام قصف المدافع الألمانية، وأخذت القوات الألمانية تعبر نهر السير في مونوكورنيه، وتقصف قوات ديجول، وتحاول استدراجها إلى الاشتباك. وأرسل اللواء جورج يأمر ديجول بالانسحاب، إذا نزل الجيش السادس الألماني. وفي اليوم التالي، ٢٠ مايو، اتجهت قوات ديجول نحو «فيسم» و«براين»، بينما هاجمت القوات الألمانية حرس المؤخرة مع فوج الدبابات على هضبة كراون، وأحرقت كثيراً من شاحناتها. وفي الوقت نفسه،كانت القوات الألمانية في الشمال تدفع بمدرعاتها نحو دنكرك، وأعلن ملك بلجيكا الاستسلام، وانسحب الأسطول الإنجليزي، وأعلن الجنرال «فيجان» الهدنة مع الألمان. ومع ذلك زحف ديجول مع الفرقة الرابعة إلى الغرب، بهدف الوصول إلى نهر «السوم». وانضمت إليه قوات فرنسية أخرى، بهدف وقف تقدم الألمان، الذين تمكنوا من عبور السوم، ثم صدرت الأوامر في ٢٦ مايو ١٩٤٠، بالتحرك في اتجاه أبفيل، ومهاجمة العدو، الذي أقام رأس جسر في جنوبها. وقرر شارل ديجول شن الهجوم على القوات الألمانية في المساء، التي انتشرت في هوبي في

الغرب، وبراي، وماروي، وفيلله، وهوشنفيل في الشرق، وتمركزت، كذلك، على جبل كوبير على ضفة السوم، وهو الجبل الذي يشرف على أبفيل وجسورها، ونجح في الهجوم على هوبي وغابات ليمو وبايول وبراي، وسقطت هوبي، واستسلم كل من بقي حياً من الألمان، كما استولى الفرنسيون على عدة بطاريات مضادة للدبابات. وأخذت الدبابات الفرنسية تدك مؤخرة الخطوط الألمانية، ولكن مدفعية الألمان المتمركزة في جبل كوبير، أخذت تقصفها بضراوة. وظلت المعركة حامية حتى جزء متأخر من الليل، وسقط الكثير من الجانبين قتلى، ودُمرت جميع دبابات ديجول، ولم يبق منها سوى مائة، تستطيع أن تتابع السير. وأخذت القوات الفرنسية تتراجع، والقتلى يتساقطون، وازداد عنف الهجوم الألماني في ٢٨، ٢٩، و٣٠ مايو ١٩٤٠، وانسحب شارل ديجول وقواته.

في الأول من يونيه ١٩٤٠، أرسل الجنرال فيجان، القائد الأعلى للقوات المسلحة الفرنسية، إلى شارل ديجول يستدعيه، إلى قصر مونتري، وشكره على صموده الرائع، ثم سأله رأيه في كيفية التصرف في ١٢٠٠ دبابة حديثة، لا زالت موجودة لدى القوات الفرنسية، فأشار ديجول أن تُقسم هذه الدبابات في فئتين: كبرى وصغرى، تتمركز الكبرى شمال باريس، والصغرى جنوب رانس، يدعمهما ما تبقى من الفرق المدرعة، وفرقتان أو ثلاث من المشاة والمدفعية، وذلك كله لعرقلة تقدم الألمان.

ولكن الجنرال فيجان أوضح أن مقاومة هجوم الألمان غير ممكنة؛ لعدم وجود ما يكفي من الأسلحة، ولأن الجيش البريطاني لم يعد يشارك في القتال إلى جوار الفرنسيين، ولا أمل كذلك في مشاركة طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني.

استأنف الألمان الهجوم في ٥ يونيه ١٩٤٠، وذهب شارل ديجول إلى الجنرال «فرير»، قائد الجيش السابع، يضع نفسه تحت أمره، ولكن فرير قال له: لقد جاءت الأنباء أنك ستصبح وزيراً، وهذا دواء وصل متأخراً.

وفي يوم ٦ يونيه ١٩٤٠، عبرت القوات الألمانية نهر السوم، وظلت تواصل زحفها، وفي يوم ٩ يونيه، بلغت نهر السين، وأخذت تخطط لهجوم المدرعات الألمانية في شمبانيا، وأصبحت باريس مهددة من الغرب والشرق والشمال. وحاول ديجول إقناع حكومته بعدم الاستسلام، ونقل ميدان الحرب إلى شمال أفريقيا، ولكن لم توافق

الحكومة، التي كان عليها أن تغادر باريس يوم ١٠ يونيه ١٩٤٠، خاصة بعد إعلان إيطاليا الحرب على فرنسا، وحاول شارل ديجول، مرة أخرى، إقناع حكومته بتنفيذ خطة دفاع عن باريس، يتولى تنفيذها الجنرال دي لاتر. ولكن القائد الأعلى أسرع بإعلان باريس مدينة مفتوحة، ووافقه الوزراء في ذلك.

دور ديجول في الحرب من خارج فرنسا عام ١٩٤٠

بتكليف من بول رينو، سافر ديجول في ٩ يونيه ١٩٤٠، إلى لندن لمقابلة ونستون تشرشل، لإخطاره بالتطورات، التي حدثت في فرنسا، وإقناعه بإشراك السلاح الجوي الملكي البريطاني في المعارك الفرنسية مع العدو. تركت هذه المقابلة انطباعاً في نفس ديجول بأن بريطانيا، وعلى رأسها ونستون تشرشل، لن تتراجع عن القتال ضد دول المحور، على الرغم من رفض تشرشل إشراك الطيران البريطاني في القتال إلى جانب فرنسا.

في اليوم التالي ١٠ يونيه ١٩٤٠، وصل تشرشل فجأة إلى فرنسا، وقابل القيادات الفرنسية، ولم يسفر ذلك عن شيء يذكر. ثم سافر ديجول، في ١٦ يونيه ١٩٤٠، إلى لندن للتباحث مرة أخرى مع تشرشل، واتفق معه على الصمود والمقاومة، ثم ذهب إلى بوردو، وهناك علم باستقالة بول رينو وحكومته، وتشكيل حكومة جديدة برئاسة هنري بيتان، سارعت إلى إعلان وقف الحرب، وطلب الهدنة من الألمان.

وباستقالة حكومة رينو، لم يعد ديجول في الحكومة، ولم تكن لديه أي رغبة للاشتراك في الحكومة الجديدة، ومن ثم قابل سفير إنجلترا، السير رونالد كامبل، وأخبره بنيته السفر إلى لندن، وحوَّل إليه بول رينو مبلغ مائة ألف فرنك، من الاعتمادات السرية. وفي صباح ١٧ يونيه ١٩٤٠، استقل طائرة بريطانية إلى لندن.

في لندن، قرر ديجول رفع راية المقاومة، واستخدام الإذاعة في ذلك، وعرض فكرته على تشرشل يوم ١٧ يونيه ١٩٤٠، فوافق على الفور، ووضع إذاعة البي. بي. سي. في لندن تحت تصرفه.

في الساعة السادسة من مساء اليوم التالي، ١٨ يونيه ١٩٤٠، وجه ديجول نداءه، عبر إذاعة الـ BBC في لندن، إلى الشعب الفرنسي، بضرورة مواصلة القتال ضد الألمان

الغزاة، وأنّ شرف فرنسا أسمى من كل اعتبار. وكان أهم ما فيه قوله: « إن كل العوامل، التي تسببت في هزيمتنا سوف تأتينا بيوم النصر... لا يجوز مهما حدث أن تنطفئ شعلة المقاومة الفرنسية.

وأرسل ديجول برقية إلى الجنرال نوغيس، القائد الأعلى للعمليات الحربية في شمال أفريقيا، في مقره بالمغرب، يعرب فيها عن وضع نفسه رهن أوامره، إذا رفض الهدنة. أما الحكومة الفرنسية فكان جوابها على ديجول، أن وصلته برقية من الجنرال بيتان، وزير الدفاع الفرنسي الجديد، تأمره بالعودة دون إبطاء، فرد ديجول في ٢٠ يونيه ١٩٤٠، ببرقية، يبدي استعداده للعودة فوراً، إذا رفض بيتان الاستسلام. وأعلن المقاومة ومواصلة الحرب.

وفي ٢٤ يونيه ١٩٤٠، أرسل ديجول ببرقيات إلى كل من الجنرال نوغيس، والجنرال ميتلهاوزر، القائد الأعلى للعمليات في شرقي المتوسطّ، والسيد بيو، مفوض فرنسا السامي في سوريا ولبنان، والجنرال كاترو، حاكم الهند الصينية العام، يخبرهم بعزمه تشكيل منظمة وطنية للدفاع عن الإمبراطورية، ويطلب مشاركتهم وتعاونهم.

وقد أرسل إليه الجنرال كاترو بموافقته وتعاطفه معه، أما الجنرال نوجيس فقد أرسل إلى الجنرال فيجان يطلب منه إعادة النظر في مسألة الهدنة، ثم بعد ذلك أيده في قبولها. أما كاترو، والجنرال لوجنتيوم، قائد قوات الساحل الصومالي، فقد أصرا على رفض الهدنة، فصدر القرار بعزلهما.

لم تكن استجابة الفرنسيين لنداءات ديجول مشجعة في أول الأمر؛ فبعد ثمانية أيام من ندائه إلى الفرنسيين، لم يرتفع عدد المتطوعين، الذين تمركزوا في قاعة أولمبيا، التي وضعها الإنجليز تحت إمرته، إلاّ إلى بضع مئات. ولم تبخل إنجلترا بدعمها المباشر لحركة ديجول، وتحملت جميع نفقات القوات الفرنسية في حركة ديجول، بهدف أن يتمكن ديجول من اجتذاب عدد كبير من المتطوعين الفرنسيين، لمواصلة الحرب، التي أعلنها تشرشل بكل رباطة جأش، عكس كل التوقعات بأن بريطانيا سوف تواصل الحرب ضد النازية، ولو منفردة. كذلك أعلنت بريطانيا في ٢٨ يونيه ١٩٤٠، اعترافها بحركة التحرير الفرنسية، بزعامة الجنرال ديجول، وكان نص البيان كالتالي:

«تعترف حكومة صاحب الجلالة بالجنرال ديجول قائداً لجميع الفرنسيين الأحرار، حيثما وجدوا، وحيث يلتفون حوله، تأييداً لقضية الحلفاء».

واختار ديجول، رمزاً لمنظمته، صليب اللورين المزدوج، وشعار عام ١٨٧١ وهو «المجيد دائماً وإلى الأبد». وقد أصدرت السلطات البريطانية منشوراً، إلى العسكريين الفرنسيين في إنجلترا جميعاً، أنهم مخيرون بين العودة إلى فرنسا، أو الالتحاق بالجنرال ديجول، أو الخدمة في بلاط صاحب الجلالة في إنجلترا.

في يوم ٢٩ يونيه ١٩٤٠، تمكن ديجول من مقابلة قائد فرقة فرنسية خفيفة، في ترانتهام بارك، وتمكن من إقناعه بضمها إلى قواته. وهكذا أُتيح له أن يلحق بقواته قسماً كبيراً من فوجين تابعين للواء الثالث عشر، ومائتين من القناصة، وثلثي سرية دبابات، وبعض عناصر المدفعية وسلاح المهندسين والنقل، وعدة ضباط أركان حرب. وفي اليوم التالي ٣٠ يونيه ١٩٤٠، انضم إليه نفر كبير من البحارة، منهم ضباط وبحارة الغواصة «روبي»، التي كانت قابعة عند سواحل النرويج، والغواصة «نارفال»، التي غادرت تونس لحظة سماعها نداء ديجول، والزورق الحربي بريزيدان ـ هوندوس. كما تجمع بضع عشرات من الطيارين في سانت ـ أثام، بعد أن هربوا بطائراتهم من شمال أفريقيا، وبدأ المتطوعون الفرنسيون، من أماكن شتى من العالم، يصلون فرادى إلى إنجلترا.

تمكن ديجول كذلك من جمع ألفين من جرحى الحرب، من دنكرك، وأُتيحت لهم فرص استكمال علاجهم في مستشفيات إنجلترا. وأعلن ديجول إنشاء منظمة فرنسية وطنية، وأرسل بذلك مذكرة في ٢٦ يونيه ١٩٤٠، إلى السيدين تشرشل واللورد هاليفاكس. ثم أرسل، في اليوم التالي ٢٧ يونيه ١٩٤٠، برقية إلى كل من القائد الأعلى الفرنسي لميدان العمليات في شرق المتوسط، ومفوض فرنسا السامي في سوريا ولبنان، والقائم بالأعمال في تونس، يدعوهم إلى المشاركة في المنظمة.

إلى نهاية شهر يوليه عام ١٩٤٠، لم يكن قد انضم إلى المنظمة أي زعيم سياسي مرموق، ولا انضمت إليها قيادة عسكرية بارزة، اللهم إلا فليكس إيبوبه، حاكم تشاد، كما ظلت إمبراطورية فرنسا موالية لحكومة المارشال بيتان، التي أصبحت تسمى

حكومة فيشي، نسبة إلى المدينة، التي انتقلت إليها الحكومة الفرنسية، بعد احتلال الألمان لباريس العاصمة. وفي الأول من يونيه ١٩٤٠، أرسلت حكومة فيشي إلى ديجول، مذكرة عن طريق القائم بالأعمال في لندن، تأمره بأن عليه أن يعتبر نفسه مفوضاً عليه، وأن يسلم نفسه في تولوز. وأرسل القائد بالأعمال المذكرة إلى ديجول، فرد عليها بالرفض.

وفي اليوم الثاني من أغسطس ١٩٤٠، أصدرت محكمة عسكرية، في فيشي، حكماً بإعدام ديجول، بتهمة التمرد والعصيان. ولم يأبه ديجول بذلك، بل أرسل بتعليماته إلى مندوبيه في المستعمرات الفرنسية بأفريقيا، في ٥ أغسطس ١٩٤٠، يبين لهم مهامهم الأساسية، وسبل الاتصالات معه.

وفي يوم ٧ أغسطس ١٩٤٠، وقع ديجول مع تشرشل وثيقة اتفاق، بعد مباحثات بين الطرفين، تتعهد فيها بريطانيا بتأكيد عزمها على تأمين إعادة كيان فرنسا واستقلالها.

بانتهاء النصف الأول من أغسطس ١٩٤٠، كان جيش منظمة فرنسا الحرة، بقيادة ديجول، يتكون من ١٤٠ ضابطاً، و٢١٠٠ جندي فقط، ولكن حدث تحول مهم، قرب نهاية أغسطس ١٩٤٠، حيث حقق ديجول تقدماً ملحوظاً، وحصل على الولاء من المستعمرات الفرنسية، في أفريقيا الاستوائية، بفضل مجهودات بعض القادة العسكريين الفرنسيين، وعلى رأسهم الحاكم العام لمستعمرات تشاد الفرنسية، فليكس إيبويه. وتحدث ديجول في إذاعة لندن ينوه بذلك، وبدأ كثير من مناطق أفريقيا الاستوائية تعلن ولاءها لمنظمة فرنسا الحرة، ومنها تشاد، والكاميرون، وساحل العاج الأعلى، وجزر هيريد الجديدة، والكونغو، ونيجيريا، وبرازفيل، وسان ـ مار. وأرسل ديجول في ٢٩ أغسطس ١٩٤٠، إلى الجنرال كاترو، حاكم الهند الصينية، يبشره بهذه النتائج الطيبة.

معركة دكار

اتفق ديجول مع تشرشل على ضرورة خوض معركة بهدف ضمّ دكار إلى منظمة فرنسا الحرة، وهكذا تحركت القوات الفرنسية في حملة، قوامها ٢٧٠٠ فرد من أفراد منظمة فرنسا الحرة، و٤٢٠٠ فرد من القوات الفرنسية، يرافقها ديجول نفسه، ويتولى الجنرال البريطاني إيروين قيادة القوات البرية، ونائب الأدميرال جون كاننجهام للقوات البحرية.

وغادرت سفن النقل الإنجليزية والمدرعات، ومعها حاملة الطائرات أراك رويال، وناقلة بترول ميناء ليفربول، في ٣١ أغسطس ١٩٤٠، وبدأت العمليات العسكرية يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٤٠، بإنزال جوي وبحري، ومفاوضات مع حكومة دكار للتسليم دون قتال، ولكن حكومة دكار رفضت ذلك، وأصرت على المقاومة، وأُصيبت السفن البريطانية إصابات خطرة من جراء قذائف غواصات دكار، وأُسقطت أربع طائرات إنجليزية، وغرقت مدمرة وغواصتان أخريان. وقرر الأميرال جون كننجهام وقف القتال والرحيل، ووافقه ديجول. وهكذا فشلت الحملة، بل كادت أن تحدث أثراً سلبياً يهدد مستقبل ديجول وحركته، لولا وقوف تشرشل ودعمه الكامل لديجول. وهكذا خابت آمال ديجول، وأبحر بعدها إلى دوالا في الكاميرون، وزار عدة مواقع في أفريقيا الاستوائية.

وكاد اليأس يتسلل إليه، وقوبل بعاصفة من الغضب والاستياء في لندن، وراحت وسائل الإعلام الأمريكية تسخر منه، وتتهكم عليه. وأخذت حكومة فيشي تشيد بانتصارها في دكار، وتنشر صحفها أعداداً لا تُحصى من برقيات التهنئة إلى حكومة دكار.

قام ديجول بعد ذلك بجولة في أفريقيا، في أواخر شهر أكتوبر ١٩٤٠، واستقبله كثير من القادة العسكريين وأفراد الجالية الفرنسية هناك. ثم في ٢٧ أكتوبر ١٩٤٠، أصدر من برازافيل الأمر الرقم (١)، بإنشاء مجلس دفاع الإمبراطورية الفرنسية. تمكنت القوات الموالية لديجول من السيطرة على ميترنيك، وبعد أن ألقى جيشها السلاح نهائياً في ٥ نوفمبر ١٩٤٠. وانطلقت السفن الفرنسية والإنجليزية من دوالا؛ لاحتلال ليبرفيل بقيادة ليكليرك، بينما اتجهت القوات البرية الإنجليزية والفرنسية، بقيادة كوينج، إلى أراضي ليبرفيل، ودار قتال عنيف، في ليلة ٨ نوفمبر ١٩٤٠، وتمكن الأسطول البريطاني من إغراق الغواصة «بونسليه» التابعة لحكومة فيشي، عند ميناء «جانتيل». وهكذا سقط ميناء جانتيل يوم ١٢ نوفمبر ١٩٤٠، ودخل ديجول في ١٥ نوفمبر ١٩٤٠، ليبرفيل ثم جانتيل. وتم اختيار فليكس إيبويه حاكم تشاد قائداً عاماً للمنطقة الفرنسية في أرض أفريقيا الاستوائية، مع تعيين عدد من كبار الضباط، لتولى السلطة في بعض البلدان، تحت شعار اللورين.

ثم وضع ديجول خطة لشن حملة عسكرية على منطقتي مرزوق والكفرة في ليبيا، براً وجواً، وحملة أخرى على إريتريا، قوامها لواء تسانده القاذفات الجوية، وكانت الغاية من هذه الحملات دعم الوجود القوي للقوات الموالية لديجول في منطقة الشرق الأوسط.

دور ديجول في الحرب عام ١٩٤١

في ١٥ يناير ١٩٤١، اتفق ديجول وأنطوني إيدن، وزير خارجية بريطانيا، على تنظيم العلاقات بين الفرنسيين الأحرار، والهيئات البريطانية الرسمية، ويقضي الاتفاق بخضوع الفرنسيين التابعين لتنظيم فرنسا الحرة للنظم والتشريعات الفرنسية، وليس للتشريعات البريطانية ومحاكمها. وأثمرت المباحثات عن معادلة الجنيه الإسترليني بمائة وستة وسبعين فرنكاً فرنسياً. وتمكن ديجول من إنشاء مصرف خاص بفرنسا الحرة، تحت اسم «البنك المركزي لفرنسا الحرة»، مهمته تنظيم المرتبات والمصروفات، وجمع الأموال الواردة من الهيئات والحكومات والتبرعات وعائدات المستعمرات، إضافة إلى المبالغ المقدمة من الحكومة البريطانية.

كذلك أسس ديجول المكتب المركزي للعمليات، ومهمته جمع المعلومات، وتنظيم العمل السري لتجنيد المتطوعين، وسمحت الحكومة البريطانية لرجال ديجول بالبث، عبر إذاعة لندن مدة خمس دقائق، مرتين يومياً، في برنامج إذاعي أُطلق عليه اسم «الفرنسيون يتحدثون إلى الفرنسيين». كذلك تمكن ديجول من إنشاء مجلة، باسم "فرنسا الحرة»، وجريدة تحت اسم «فرنسا»، ووكالة أنباء، تحت اسم «وكالة فرنسا الحرة للأنباء».

في ١٥ يناير ١٩٤١، أصدر ديجول أمره إلى كل من الجنرال كاترو ولارمينا، بالبدء في تنفيذ خطة تجميع قوات، قوامها فرقة من السنغاليين، وكتيبة من رجال البحرية، ومجموعة دبابات وبطاريات مدفعية، وغير ذلك. وانضم إلى هذه القوات بعض الطيارين الفرنسيين جاؤوا من تونس ولبنان. كذلك، قرر ديجول إرسال عدد من الطائرات القاذفة، وكذلك المدمرتين «سافورنيان دي برارزا»، و«القومندان دوبوك»، إلى الخرطوم.

في فبراير ١٩٤١، وصلت أنباء ذهاب بعثة ألمانية إلى سوريا، والتحركات اليابانية

دعماً لدول المحور، مما يهدد مناطق الهند الصينية للخطر، فعكف ديجول على وضع خطة للدفاع عن الهند الصينية تشترك فيها كل من بريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وهولندا، وأستراليا، ونيوزلندا.

في ٢٤ فبراير ١٩٤١، أرسل ديجول إلى الجنرال فيجان، يسأله العون، ويطالبه بتجميع القوى الفرنسية كلها في جبهة واحدة، وكذلك أرسل كاترو بعدة رسائل إلى قادة فرنسيين آخرين تابعين لحكومة فيشي، ولكن كل هذه الرسائل قوبلت بالرفض، بل إن الجنرال فيجان أضاف، إلى الرفض، طلبه تنفيذ حكم الإعدام بقوله: «يجب إعدام ديجول».

وفي ٩ مارس ١٩٤١، استدعى تشرشل ديجول، وأخبره أن الولايات المتحدة الأمريكية وافقت على مشروع الإعارة والتأجير، ومن ثم يمكن الحصول على الأسلحة والمعدات اللازمة. وكان لهذا الخبر أبلغ الأثر في نفوس ديجول ورفاقه؛ لأنه كان يعني تحولاً في سير الحرب، بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت لا تزال تقف موقف المتفرج من الصراع.

اتجهت أنظار ديجول، بعد ذلك، إلى ضرورة السيطرة الفرنسية على سوريا ولبنان، وباقي بلدان الشرق الأوسط، وبدأ جولة تفقدية دقيقة هناك، وكانت الخرطوم أول محطة ينزل فيها؛ فقد كانت منطلقاً للقوات الفرنسية بقيادة الجنرال بلاتّ، الذي تمكن من انتزاع خط الدفاع الأساسي في إريتريا من أيدي الإيطاليين.

وفي يومي ٢٩ و ٣٠ مارس ١٩٤١، ذهب إلى إريتريا، ليشرف على القوات الفرنسية المقاتلة هناك ضد الإيطاليين، في أعالي كيرين، وهناك قابل المقدم جينان، الذي جاء من الجزائر؛ لينضم إلى قوات ديجول. ثم اتجه الجنرال بلاتّ، في ٣١ مارس ١٩٤١، برجاله إلى مصوع، عاصمة إريتريا، وتمكن من دخولها في ٧ أبريل ١٩٤١، بعد فرار الإيطاليين، وكانت حصيلة المعركة أربعة آلاف أسير، واستسلام عشرة آلاف جندي.

في الأول من أبريل ١٩٤١، هبط ديجول بطائرته في القاهرة، وهناك جاءته الأخبار أن الوضع في سوريا ولبنان لا يسمح بتحقيق سيطرة قواته عليها؛ وذلك لخضوعها لحكومة فيشي. ومن ثم أرسل ديجول إلى حكومة فيشي يكرر طلبه دمج القوات الفرنسية كلها

معاً؛ لمواجهة العدو المشترك. ولم يرد عليه الجنرال فيجان، فيئس ديجول من البحث في موضوع سورية ولبنان، وبدأ في تجميع القوات لمساعدة القائد البريطاني ويفل، في تقدمه في ليبيا.

وفي مصر، وطد ديجول علاقات طيبة مع الأمير محمد علي، وسري باشا رئيس الوزراء آنذاك. وبعد أسبوعين في السودان ومصر وفلسطين، اتخذ ديجول طريقه إلى برافيل، ثم دوالا وياوندي وماروه وليبرفيل وغيرها من المناطق، لتفقد الأوضاع.

في ٨ يونيه ١٩٤١، أصدر ديجول أمره، للقوات الفرنسية الحرة، بمرافقة القوات البريطانية في تحركها إلى سورية ولبنان؛ لمواجهة قوات دول المحور هناك. وحدثت عدة صدامات في أيام ٩، ١٠، ١٢، ١٥، ١٦ يونيه ١٩٤١، مع الجنود الفرنسيين التابعين لحكومة فيشي، ووقعت خسائر كبيرة في الطرفين. وتمكنت قوات ديجول، ومعها القوات البريطانية، من دخول دمشق في ٢٢ يونيه ١٩٤١. وهناك عقد ديجول عدة اجتماعات مع كبار السوريين، الذين بادروا على الفور بالاعتراف بفرنسا الحرة، بزعامة ديجول. وعمل ديجول على تأليف حكومة فرنسية جديدة هناك، والتأكد من سلامة الأوضاع. وفي الوقت نفسه، عُقدت المفاوضات في عكا بين الحكومة البريطانية، بصفتها صاحبة القيادة العسكرية، وحكومة فيشي، ونصت الاتفاقية التي توصل إليها الجانبان، على وضع سورية ولبنان تحت السيطرة البريطانية، دون أي ذكر لاسم فرنسا الحرة فيها، كما نصت كذلك على أن تُوضع المؤن الحربية الموجودة في حوزة قوات فيشي، تحت تصرف القوات البريطانية، ومن ثم لا تستفيد منها قوات فرنسا الحرة شيئاً.

رفض ديجول هذه الاتفاقية، وأرسل احتجاجاً شديد اللهجة إلى الحكومة البريطانية، التي بادرت إلى الاعتراف بحق فرنسا الحرة في الانتداب على سورية ولبنان، في ٢٥ يوليه ١٩٤١.

في جولته يومي ٢٤ و ٢٥ يوليه ١٩٤١، في دمشق وبيروت، لقي ديجول ترحيباً كبيراً، كما اجتمع إلى السيد ألفريد نقاش، رئيس الحكومة اللبنانية، والتقى عدداً كبيراً من الفرنسيين، ممن كانوا قد أعلنوا ولاءهم الكامل لحكومة فيشي، وعقب اللقاء، أعلنوا تأييدهم المطلق لتنظيم فرنسا الحرة.

عقب ذلك، عقد ديجول عزمه على ضرورة ظهور منظمته على المسرح السياسي، وجعلها دولة ذات سيادة، ومن ثم اتجه إلى إجراء المباحثات مع واشنطن وموسكو ولندن، خاصة واشنطن، التي كانت لا تزال تتعامل مع حكومة فيشي.

وهكذا أرسل ديجول، في أغسطس عام ١٩٤١، يطلب من الولايات المتحدة الأمريكية أن تقيم قواعد جوية لها في المناطق التابعة لفرنسا الحرة، في الكاميرون وتشاد والكونغو، وهي المناطق التي تعد خط الدفاع الأمامي مع الألمان.

كما عرض ديجول ـ عقب قراره في ٢٤ سبتمبر ١٩٤١، بإنشاء لجنة وطنية فرنسية، تعد بمثابة جهاز رئاسي للدولة المنتظرة ، وضع الجزر التابعة لفرنسا الحرة في المحيط الهادي، تحت تصرف الأمريكيين لمواجهة الخطر الياباني.

وقد أثمرت هذه النشاطات اهتماماً من الولايات المتحدة الأمريكية بمنظمة ديجول، وأعلن مسئول أمريكي كبير، في سبتمبر عام ١٩٤١، أن هناك مصالح مشتركة بين أمريكا وفرنسا الحرة، وأضاف: «إن علاقاتنا مع هذه المجموعة جيدة جداً، على جميع المستويات». وبدأت تحدث تحولات واضحة من جانب الإدارة الأمريكية، لصالح فرنسا الحرة، وشملت تلك التحولات وسائل الإعلام الأمريكية، وكانت قبل ذلك تهاجم تنظيم فرنسا الحرة.

وفي ١١ نوفمبر ١٩٤١، أعلن الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت، في بيان رسمي، قبول فرنسا الحرة في قائمة الدول المستفيدة من قانون الإعارة والتأجير.

ومع ذلك حدثت بعض السلبيات من الجانب الأمريكي:

١. فقد احتجزت السلطات الأمريكية، في ١٣ ديسمبر ١٩٤١، الباخرة نورماندي، مع ثلاث عشرة سفينة فرنسية أخرى، ولم تقبل التفاوض بشأنها مع حكومة ديجول.

٢. في شهر ديسمبر ١٩٤١، كذلك، جرت مباحثات ميثاق عصبة الأمم المتحدة، ووقعت ٢٧ حكومة، ليس من بينها حكومة ديجول.

٣. تحركت قوات ديجول في ١٢ ديسمبر ١٩٤١، بقيادة الأميرال موزيليه، لضم جزيرتي سان بيير وميكيلون، وانتزاعهما من حكومة فيشي، دون الحصول على موافقة الولايات

المتحدة الأمريكية، التي كانت قد دخلت الحرب رسمياً يوم ٧ ديسمبر ١٩٤١.

وقد دخل الأميرال موزيليه الجزيرتين، دون إطلاق رصاصة واحدة، واستقبله الأهالي هناك بحفاوة وحماسة شديدتين. وعلى الفور احتجت الحكومة الأمريكية احتجاجاً شديداً لحدوث ذلك، دون موافقتها. وعالج ديجول الأمر بأن أمر بإجراء استفتاء عام في الجزيرتين، كانت نتيجته موافقة الأغلبية الكاسحة على الانضمام إلى فرنسا الحرة. وفي الوقت نفسه أبرق ديجول إلى تشرشل، وكان في محادثات مع روزفلت، يطلب منه إقناع روزفلت بالتخلي عن موقفه هذا، وانتهت العاصفة؛ نتيجة لوجود رأي عام أمريكي مؤيد لديجول؛ ولموافقة بريطانيا وكندا على تصرف قوات ديجول، وقبلت الولايات المتحدة الأمريكية بالأمر الواقع.

دور ديجول في الحرب عام ١٩٤٢

كان اليابانيون قد أنزلوا قواتهم في منطقة الملايو الإنجليزية، وتابعوا الزحف نحو جزر الهند وإندونيسيا والفلبين وهونج كونج.

ومع مطلع يناير ١٩٤٢، تمكنت القوات اليابانية من فرض الحصار على عدد هائل من الجنود البريطانيين، في سنغافورة، وأجبرتهم على الاستسلام، واستمر الزحف الياباني، نحو جميع الجزر التابعة لحكومة ديجول، وأرسل ديجول الإمدادات إلى نائبه هناك، ومع هذه الإمدادات الغواصة «سيركوف»، وهي أكبر غواصة في العالم آنذاك، ولكنها غرقت عقب اصطدامها بسفينة شحن ضخمة، في ليلة ١٩ فبراير ١٩٤٢، ومات قائدها وبحارتها المائة والثلاثون عند مدخل قناة بنما.

عقب ذلك، أخذت الولايات المتحدة الأمريكية تدعم علاقتها بحكومة ديجول، وتعاملها باحترام شديد، واعترفت الولايات المتحدة الأمريكية، في أول مارس ١٩٤٢، في بيان رسمي، بأن: «جزر الباسيفيك الفرنسية تقع تحت الإشراف الفعلي المباشر للجنة الوطنية الفرنسية، وإن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تتعامل معها، وستواصل التعامل معها، على هذا الأساس»، وأتبعت ذلك في ٤ أبريل ١٩٤٢، ببيان رسمي مماثل في شأن أفريقيا الاستوائية، وعينت قنصلاً عاماً للولايات المتحدة الأمريكية، في برازفيل وسائر المناطق التابعة لحكومة ديجول.

وفي ٧ مارس ١٩٤٢، طلبت الحكومة الأمريكية، من ديجول، إذناً بالسماح لها بإنشاء قواعد لها في بعض جزر الباسيفيك الفرنسية، ووصلت القوات الأمريكية إليها بالفعل في ٩ مارس ١٩٤٢، بقيادة الجنرال باتشي، قائد القوات البرية الأمريكية في الباسيفيك، وذلك أثناء اشتعال المعارك بين القوات الأمريكية والقوات اليابانية. وحين طلبت الحكومة الأمريكية، من حكومة ديجول، السماح لطائراتها القاذفة بالنزول في ميناء «بون نوار»، طلبت حكومة ديجول، مقابل ذلك، تزويدها بثماني طائرات من نوع لوكهيد، استخدمتها في إنشاء جسر جوي بين دمشق وبرازفيل.

التعاون مع الاتحاد السوفيتي

انتهز ديجول فرصة الهجوم، الذي شنه هتلر على روسيا، والتحول الهائل من جانب الحكومة الروسية إلى ضرورة التعاون مع الحلفاء، وبعد أن كانت إذاعة موسكو تهاجم «الإمبرياليين الإنجليز» و«المرتزقة الديجوليين»، راحت تكيل المديح والثناء لتشرشل وديجول، وسارع ديجول إلى الحوار مع الروس، فأرسل وفداً فرنسياً، في ٢٤ يونيه ١٩٤٢، إلى مايسكي، سفير روسيا في لندن، يبلغه باسم ديجول: «أن الشعب الفرنسي مع الروس ضد ألمانيا، ومن ثم فإننا نتمنى تقوية العلاقات العسكرية مع موسكو».

ونتج، عن ذلك، مبادرة روسية إلى قطع علاقاتها مع حكومة فيشي، وأصدر مايسكي في ٢٦ سبتمبر ١٩٤٢ بياناً باسم حكومته: «إن روسيا تعترف بالجنرال ديجول رئيساً لجميع الفرنسيين الأحرار، وإنها على استعداد للاتصال بمجلس الدفاع عن الإمبراطورية الفرنسية؛ للتفاهم في جميع المسائل المتعلقة بالتعاون. وإنها مستعدة لتقديم المساعدة الكاملة للفرنسيين الأحرار؛ لإعادة استقلال فرنسا وعظمتها بشكل كامل ومطلق».

وسارع ديجول إلى إرسال الجنرال بيتي إلى موسكو بصفته ضابط اتصال مع القيادة العسكرية الروسية، ورحب به المسؤولون الروس ترحيباً كبيراً، وعقدوا معه اجتماعات مكثفة، وزار مواقع القتال، كما قابل جوزيف ستالين نفسه.

وفي هذه الأثناء كانت القوات الألمانية قد توغلت، خلال أربعة أشهر، في الأراضي الروسية، وأصبحت على مشارف موسكو، ووقع مئات الآلاف من الروس أسرى،

ولكن الجيش الروسي صمد صموداً شديداً، وجعل الألمان يتراجعون، وساعده في ذلك جليد الشتاء القارس. ورأى ديجول أنه لابد من مشاركة الروس في القتال، فأمر كاترو بإرسال إحدى الفرقتين الخفيفتين إلى إيران والقوقاز، وجميع الطائرات الفرنسية من فوج نورماندي، وأبلت هذه القوات بلاءً حسناً إلى جوار الروس.

في الأول من أبريل ١٩٤٢، أذاع ديجول بياناً، يعلن فيه إطلاق اسم فرنسا المحاربة على حركة فرنسا الحرة، ويخبر الحلفاء بذلك.

كانت المعلومات الكاملة عن جميع التطورات داخل فرنسا تصل إلى ديجول، أولاً بأول، بكل دقة، اعتباراً من صيف عام ١٩٤١، وكانت شعبية ديجول تتزايد داخل فرنسا، وتشتعل حركة المقاومة والهجمات على الجنود الألمان، الذين أخذوا ينتقمون بكل وحشية وعنف، ويقتلون الأسرى بالمئات، ومع ذلك ازدادت المقاومة، وكان رجال ديجول يمدونهم بالسلاح سراً.

وفي الخامس والعشرين من أكتوبر ١٩٤١، أقدم الألمان على ذبح خمسين أسيراً فرنسياً في بوردو، وخمسين آخرين في نانت، وأذاع ديجول بياناً، عبر الإذاعة البريطانية، قال فيه:

«يتصور العدو أن قتل مواطنينا سبيل إلى إرهاب الشعب الفرنسي كله، ولكنه واهم، ولينتظر، ولسوف يرى أن الشعب الفرنسي قادر على توجيه الضربة القاضية».

ثم طلب ديجول من جميع الفرنسيين، في كل مكان، الوقوف لمدة خمس دقائق، في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ٣١ أكتوبر ١٩٤١، حداداً على الشهداء، وإظهاراً لروح التربص للانتقام من العدو في كل مكان.

وطلب ديجول من الفرنسيين الانضمام إلى منظمات المقاومة، التي شكلها خارج فرنسا، وهي:

١. منظمة الكفاح «كومبا فرنسي» برئاسة النقيب فرناي.

٢. منظمة التحرير «ليبراسيون» برئاسة عمانوئيل داستيه.

٣. منظمة الإرهاب الفرنسي بقيادة جان بيير ليفي.

٤. الاتحاد العام للعمال.

٥. الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين.

٦. فئات الحزب الاشتراكي.

٧. فئات الحزب الديمقراطي الشعبي.

٨. فئات الحزب الجمهوري.

وكلها كانت تعمل على بث روح النضال؛ للقضاء على حكومة فيشي.

أما داخل فرنسا، فقد تأسست منظمات سرية تابعة لديجول هي:

١. المنظمة العسكرية والمدنية بقيادة العقيد توني.

٢. منظمة رجال الحرية برئاسة ريبوش.

٣. منظمة رجال المقاومة بقيادة ليكونت بونيه.

٤. منظمة تحرير الشمال بإشراف كافيس.

٥. صوت الشمال برئاسة هوكي.

هذا إلى جانب المنظمات الشيوعية، التي بدأت تحركها الفعلي، وحملت السلاح عقب غزو هتلر لروسيا، وألفت فيما بينها مجموعة تسمى الجبهة الوطنية، وهيئة أخرى تسمى هيئة المناضلين الفرنسيين. وقد طلبت هاتان المجموعتان المساعدة من ديجول، رغم معارضتهما له ومهاجمتهما إياه. وصار الهتاف الدائم المتعارف عليه بين كل أتباع ديجول: «تحيا فرنسا!».

ولم يأت شهر مارس ١٩٤٢، إلاّ وكانت جميع هذه المنظمات قد اتحدت فيما بينها.

وفي ٢٣ يونيه ١٩٤٢، أذاع ديجول بياناً قال فيه: «إن الحرية والكرامة، والحياة الآمنة، التي عزمنا على توفيرها لفرنسا، عن طريق سحق العدو، إنما تعني أن نعمل على نحو، يستطيع معه كل رجل وكل امرأة في ديارنا أن يحققا تلك الأهداف، بتغيير النظام السيئ المرفوض، وإدانة ذلك العهد الأخلاقي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي،

الذي تهاوى في قاع الهزيمة بعد الاستسلام الآثم». وأذيع البيان من راديو لندن، وبيروت، وبرازفيل.

وأعقب ديجول ذلك بزيارة للأسطول الفرنسي، الذي صار يشكل قوة هائلة، يعتمد عليها البريطانيون في الحرب، ويقدمون شكرهم لقائد فرنسا الحرة، ديجول، ويزودون هذا الأسطول باستمرار بالجديد من السفن الحربية الإنجليزية، والغواصات، والمدمرات، وزوارق الطوربيد، مما جعله أسطولاً ضخماً، انتشرت قطعه في جرنيوك، وداتموث، وكاوز، وبورتسموث، ووصل عدد بحارتها إلى ٣٦٠٠ فرد. كذلك راح ديجول يتفقد أسراب الطائرات الفرنسية، التي تشكلت في أواخر عام ١٩٤١.

في ٤ فبراير ١٩٤٢، أصدر ديجول أمره إلى ليكليرك، ببدء التحرك من تشاد، وشنّ غارات سريعة خاطفة تهاجم وتنسحب. وبالفعل تمكن ليكليرك في مارس عام ١٩٤٢، من دخول مدينة فزان الليبية، بعدة دوريات معززة بالطائرات المقاتلة، وحطم عدداً كبيراً من مواقع الألمان، وأوقع عدداً كبيراً منهم أسرى، وعاد إلى تشاد بكميات ضخمة من الغنائم.

بعد أن انتهى ديجول من الإشراف على التجهيز النهائي للفرقتين الفرنسيتين الخفيفتين، كتب إلى تشرشل في ٧ أكتوبر ١٩٤٢، برغبته في الاشتراك مع قوات الحلفاء في معارك ليبيا. وكتب كذلك إلى الجنرال أوكنيلك، وأظهر كل استعداد لوضع جميع القوات الفرنسية العاملة بقيادة لارمينا، تحت إمرة القيادة البريطانية، كما قابل المستر مارجيسون وزير الحربية البريطاني. وظل وقتاً طويلاً دون أن يتلقى جواباً من أي منهما.

وفي ٢٧ نوفمبر ١٩٤٢، تلقى خطاباً من رئيس الأركان البريطاني، يبلغه باعتذار بريطانيا عن رفضها اشتراك القوات الفرنسية الحرة في معركة ليبيا. ولم ييأس ديجول، بل قابل المندوب السوفيتي، وطلب منه إبلاغ حكومته برغبته في إشراك قوات فرنسا الحرة في معارك الجبهة الشرقية. ولدى علم تشرشل بذلك، سارع بإرسال رسالة إلى ديجول، في ٧ ديسمبر ١٩٤٢، يخبره بموافقة إنجلترا (على اشتراك الفرقة الأولى في القتال)، وأرسل ديجول إلى الجنرال كاترو في القاهرة، لإعداد الترتيبات اللازمة لنقل الفرقة الخفيفة الأولى إلى ليبيا.

وفي ٢٩ ديسمبر ١٩٤٢، كتب ديجول إلى كاترو يأمره بتجهيز الفرقة الثانية، وإرسالها في ١٥ مارس ١٩٤٣، إلى القوقاز لمساعدة الروس في حربهم.

دور ديجول في الحرب عام ١٩٤٣

لدى علم القيادة البريطانية بذلك، حاولت وضع العراقيل، بل وأقنعت ديجول في آخر فبراير ١٩٤٣، بعودة الفرقة الثانية، وكانت قد وصلت إلى سورية، فغيرت وجهتها ووصلت إلى ليبيا في أواخر مارس ١٩٤٣. ومن ثم تمركزت الفرقة الأولى في منطقة بئر حكيم، وظلت الثانية تنتظر إشارة التحرك. إضافة إلى أفراد المظلات الفرنسيين، الذين أتموا تدريباتهم في الإسماعيلية، والكتيبة المدرعة بقيادة ريمي، ليصل عدد المقاتلين الفرنسيين إلى اثني عشر ألف مقاتل.

معركة بئر حكيم

في يوم ٢٧ أبريل ١٩٤٣، بدأت القوات الألمانية والإيطالية، بقيادة رومل، هجومها الضخم على منطقة بئر حكيم، فتصدت لها القوات الفرنسية وهزمتها، ودمرت أربعين دبابة إيطالية. ثم في يومي ٢٨ و٢٩ أبريل ١٩٤٣، تمكنت القوات الفرنسية من تدمير خمس عشرة دبابة، واستولت على مائتين أخريين.

وفي ٣٠ أبريل ١٩٤٣، اضطر رومل إلى الانسحاب. وفي ٢ يونيه ١٩٤٣، اندفعت الفرقة الفرنسية، بقيادة بروش، إلى مركز روتوندا سينيالي، على بعد خمسين ميلاً غربي بئر حكيم، واستولت عليه. ونقلت إذاعات العالم أنباء الانتصار الفرنسي. وفي يوم ٣ يونيه عاود رومل هجومه، وسحق لواءً بريطانياً، وعبر حقل الألغام من غزالة إلى بئر حكيم، واحتدم القتال مع الفرنسيين، وشدد رومل الخناق عليهم، وراحت بطاريات مدافعه الثقيلة تصب قذائفها على القوات الفرنسية، بينما أخذت الطائرات الألمانية الستوكا واليونكرز في أسراب، كل سرب منها مائة طائرة، تقصف مواقع الفرنسيين خمس مرات كل يوم.

وساء موقف الفرنسيين في بئر حكيم، وتأخر وصول الإمدادات إليهم، ووجه إليهم رومل في ٣ يونيه ١٩٤٣، إنذاراً بخط يده، يحثهم على الاستسلام وإلقاء السلاح، ولكن الفرنسيين رفضوا. وفي ٧ يونيه ١٩٤٣، اشتد حصار الألمان والإيطاليين لبئر حكيم،

وشددوا وطأة هجومهم في يومي ٨ و ٩ يونيه ١٩٤٣، والفرنسيون يقاومون ببسالة، وإذاعات العالم تشيد بذلك، وخرجت عناوين الصحف العالمية، في ١٠ يونيه ١٩٤٣ كالتالي: «دفاع الفرنسيين البطولي»، «هزيمة الألمان في بئر حكيم».

وأرسل ديجول إلى قائد القوات الفرنسية في بئر حكيم، الجنرال كونيج، قائلاً: «أيها الجنرال كونيج، اعلم، وقل لرجالك إن عيون فرنسا كلها معلقة بكم، وإنها تعتركم فخرها وأملها الوحيد».

وفي صباح ١١ يونيه ١٩٤٣، تمكن كونيج، مع فريق كبير من رجاله، (أربعة آلاف فرد)، من الإفلات من الحصار، والوصول إلى منطقة الجوبي، بعيداً عن متناول العدو، بعد أن ترك في الميدان نحو ١٢٠٠ فرد، من الضباط والجنود بين قتيل وجريح وأسير، ومن بين القتلى ثلاثة من كبار الضباط، منهم العقيد بروش.

وفي ١٢ يونيه ١٩٤٣، أعلنت القيادة الألمانية أن قواتها تمكنت من اقتحام بئر حكيم، وأذاع راديو برلين البيان التالي:

«بما أن الأسرى الفرنسيين ليسوا من جيش نظامي، فإن حكم الإعدام سيطبق عليهم».

وبعد ساعة واحدة أعلن ديجول عبر إذاعة لندن، وبلغات دولية مختلفة، الإنذار التالي:

« إذا كانت القيادة الألمانية قد تنكرت لمبادئ الشرف، وتريد أن تنفذ حكم الإعدام في الأسرى الفرنسيين، الذين يدافعون عن وطنهم، فإن الجنرال ديجول يعلن آسفاً أنه سيرد بالمثل، وينفذ حكم الإعدام في الأسرى الألمان ».

وتراجعت القيادة الألمانية، وأعلنت في مساء اليوم أنها ستعامل الجنود الديجوليين معاملة أسرى الحرب كغيرهم.

وفي ذلك اليوم ١٢ يونيه ١٩٤٣، كان سرب طائرات الألزاس الفرنسي يشارك مقاتلات الحلفاء في هجومها من «سيدي براني»، وسرب اللورين يشارك المقاتلات البريطانية في الهجوم على طرق مواصلات الألمان. وتمكن رجال المظلات الفرنسيون،

في ليلة ١٢ يونيه ١٩٤٣، من تدمير اثنتي عشرة طائرة من طائرات الألمان والإيطاليين، في المطارات الليبية، وإحراق إحدى وعشرين قاذفة ألمانية، وتحطيم خمس عشرة شاحنة في جزيرة كريت، وحرق مستودع وقود في مطار كنديا.

وفي اليوم نفسه ١٢ يونيه ١٩٤٣، أرسل الجنرال أوكنلك بياناً رسمياً يقول فيه:

«على عصبة الأمم أن تبدي تقديرها وإعجابها، وتقر بفضل القوات الفرنسية وقائدها العظيم».

ثم في ١٨ يونيه ١٩٤٣، احتشد عشرات الألوف من الفرنسيين، مدنيين وعسكريين، في قاعة ألبرت بلندن وخارجها؛ للاحتفال بالذكرى الثانية لميلاد فرنسا الحرة، ودخل ديجول القاعة،وتصدر أعضاء اللجنة الوطنية وخلفهم لافتة كبيرة مثلثة، تمثل علم فرنسا، يتوسطها صليب اللورين، وعُزفت موسيقى المرسيلياز الشهيرة. ووقف ديجول يخطب في الحاضرين، ويعلن شكره وتقديره، وتقدير فرنسا، للجنود الأبطال والشهداء الأحرار، وقال: «إن بئر حكيم التي شهدت الدماء تسيل من جباه جنودنا، وأرسلت شعاع الأمل في استعادة مجد سليب، جعلت العالم يقف اليوم مقراً بمجد فرنسا.

مع بداية عام ١٩٤٣، برز على المسرح الدولي، سياسياً وعسكرياً، عدد من المتغيرات كان لها أثرها على مسار الأحداث في العالم؛ فقد بدأ ميزان القوى يميل إلى صالح الولايات المتحدة الأمريكية، بصورة أكبر من ذي قبل؛ وذلك بسبب الثروات الهائلة والطاقة الإنتاجية العملاقة، عسكرياً واقتصادياً، وأصبح واضحاً أن قيادة الحلفاء ستكون في يد الولايات المتحدة الأمريكية. والأمر الآخر هو بروز الاتحاد السوفيتي بقيادة جوزيف ستالين، بعد معركة ستالنجراد الشهيرة، قوة عسكرية عالمية لا يُستهان بها. والأمر الثالث، انتهاء سلطة حكومة فيشي الفرنسية على مستعمراتها، خاصة في شمال أفريقيا؛ عقب إعلان هتلر احتلال فرنسا كلها في ١١ نوفمبر ١٩٤٢، بعد نزول القوات الأمريكية والبريطانية في المغرب العربي.

وكانت توجد في شمال أفريقيا قوات فرنسية هائلة مزودة بأسلحة حديثة، وتضم قيادات عسكرية لها خبرتها الطويلة. وكانت المشكلة من يقود هذه القوات من الفرنسيين، التي يصل عدد أفرادها إلى نحو ٢٣٠ ألف جندي، وأخذ ديجول يخطط

لضم هذه القوات إلى قواته، واستمالة الجنرال جيرو، القائد البارز لهذه القوات، والذي حظي بدعم أمريكي وبريطاني كبير، بل تعهد له الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت بمساعدته في تجهيز جيشه، بحيث يكون تحت تصرفه، خلال ستة أشهر، اثنتا عشرة فرقة، في شمال أفريقيا، تدعمها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بالمؤن والأسلحة المطلوبة. وكان ديجول قد أرسل برقية إلى جيرو في الجزائر، يقترح عليه عقد لقاء بينهما في الجزائر، أو تشاد بهدف توحيد الجهود، وظل يتابع مراسلته، وفي النهاية، نجح الرئيس الأمريكي في تدبير لقاء يجمع بين ديجول وجيرو، في يناير ١٩٤٣، في حضور الرئيس الأمريكي، ورئيس الوزراء البريطاني. والتقط المصورون الصور التذكارية، وديجول يصافح جيرو. وأخذت الصحف الأمريكية والإنجليزية، في الأسابيع التالية، تمتدح جيرو، وتنادي بأن تكون الوحدة الفرنسية تحت قيادته، ، وتغمز ديجول، بل تصرح بأقوال منها: إنه «طموح فاشل»، و«ديكتاتور المستقبل»، و«بطانته ثلة من الفاشلين والإرهابيين»، وفي الوقت نفسه تصف جيرو بأنه ليس له مطمع سياسي، بل هو ديمقراطي معتدل، يجب على الشعب الفرنسي الثقة به.

اعتمد ديجول أسلوب المناورة ليحتوي هذه المتغيرات، وليتمكن من ترويض جيرو، وسحب البساط من تحت قدميه، وتفويت الفرصة على الأمريكيين والإنجليز في إحلال جيرو محل ديجول في قيادة القوات الفرنسية. وبدأ ديجول فنقل مركز قيادته إلى الجزائر، في يونيه ١٩٤٣، واتفق مع الجنرال جيرو على إنشاء اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني، من سبعة أعضاء، تحت رئاسة كل من ديجول وجيرو، ثم تمكن ديجول من ضم سبعة آخرين إلى أعضاء هذه اللجنة، ومعظمهم من مؤيديه.

ووقع خلاف كبير حول أسلوب العمل العسكري، وانتهى بالاتفاق، بتوصية من تشرشل وروزفلت، في يوليه ١٩٤٣، على أن يكون ديجول هو الرئيس الوحيد،وأن يكون جيرو هو القائد العام للقوات العسكرية. وأخيراً استتب الأمر لديجول في نوفمبر ١٩٤٣، حين تمكن من التخلص من جيرو، وأبعده من اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني، وخلت قائمة أعضاء اللجنة من اسمه، على الرغم من دعم الرئيس الأمريكي فرانلكين روزفلت له، وميل القيادات الأمريكية والإنجليزية إليه، ورغبتهم في إقصاء ديجول، وتولي جيرو القيادة الفرنسية.

في ١٤ نوفمبر ١٩٤٣، أصدر ديجول أمره إلى الجنرال لوكلير أن يستعد لتحريك القوات الفرنسية إلى فزّان في ليبيا، ويحتلها، ثم ينسق مع قوات الحلفاء، إمّا أن يتحرك إلى طرابلس الغرب، أو إلى موقع آخر، وذلك حين تصل قوات الحلفاء إلى خليج سرت.

وفي ٢٨ نوفمبر ١٩٤٣، أصدر ديجول أمره إلى لوكلير: «تستطيع أن تتحرك، بدءاً من ٢ ديسمبر ١٩٤٣، وفق ما تراه، مع التنسيق مع الجنرال ألكسندر، قائد القوات البريطانية في الشرق، بحيث تتلقى دعماً جوياً فاعلاً».

دور ديجول في الحرب عام ١٩٤٤

بدأ هجوم قوات لوكلير تساندها القوات البريطانية، ودارت المعارك الحامية على مدى أسبوعين، واستولت على مواقع الألمان والإيطاليين في «صبحة»، في ١٢ يناير ١٩٤٤، ثم في «مرزوق»، في ١٣ يناير ١٩٤٤، وأسرت نحو ألف فرد، بينهم أربعون ضابطاً، واستولت على عشرين مدفعاً ألمانياً ثقيلاً، وعدد من المصفحات ومدافع الهاون، والمدافع الرشاشة، والبندق الآلية، وأصبح الطريق إلى طرابلس الغرب مفتوحاً. وأذاع ديجول أخبار هذا الانتصار، في ١٣ يناير ١٩٤٤، وقال فيه: إن فرنسا قد ثأرت لكبريائها الجريح.

في أواخر يناير ١٩٤٤، وافق ديجول على اقتراح رينيه بليفن، المفوض الوطني للمستعمرات الفرنسية في أفريقيا، بعقد المؤتمر الأفريقي في برازافيل، وحضر المؤتمر جميع حكام المستعمرات؛ بهدف إقامة مجمع فرنسي مشترك. وقوبل ديجول في برازافيل بحماسة وهتاف كبيرين، وافتتح المؤتمر في ٣٠ يناير ١٩٤٤.

قبل ذلك، وفي غضون يناير، اجتمع ديجول وتشرشل، وطلب ديجول زيادة المعدات العسكرية للقوات الفرنسية، وفرْض سيطرته على أي أراضٍ فرنسية تحررها قوات الحلفاء.

وجهت لجنة التحرير مذكرة، في سبتمبر ١٩٤٣، إلى واشنطن ولندن، توضح فيها مقترحاتها أثناء المعركة المقبلة لتحرير فرنسا، وصور التعاون بين الإدارة الفرنسية والقوات الحليفة، وأن يكون إلى جانب الجنرال أيزنهاور جنرال فرنسي، وأن يذهب أحد أعضاء اللجنة إلى فرنسا، ويكون مفوضاً في اتخاذ الترتيبات اللازمة.

في ٣ يونيه ١٩٤٤، أصدر ديجول أمره بأن تصبح لجنة التحرير الوطني هي الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية في المنفى، وفي ٤ يونيه ١٩٤٤، اجتمع ديجول وتشرشل والجنرال دوايت أيزنهاور، القائد الأعلى لقوات الحلفاء، في بورتسموث، واستعرضوا خطة الحرب، والاستعدادات اللازمة، ثم أخرج أيزنهاور وثيقة، عبارة عن منشور، سوف يذيعه أيزنهاور على شعوب أوربا الغربية، وفيه خطاب إلى الفرنسيين ورد فيه: «أنهم بعد تحرير فرنسا يختارون بأنفسهم ممثليهم وحكومتهم». وحاول ديجول الاعتراض، ولكن دون جدوى. وأُذيع المنشور في صباح يوم ٥ يونيه ١٩٤٤. وفي الساعة السادسة من مساء يوم ٦ يونيه ١٩٤٤، أذاع ديجول بياناً إلى الفرنسيين جاء فيه: «لقد بدأت المعركة الكبرى، إنها طبعاً معركة فرنسا، والواجب المقدس على كل فرنسي أنّى كان، وأياً كان، أن يقاتل العدو بكل وسيلة ممكنة. وعلى جميع الفرنسيين طاعة الأوامر الصادرة عن الحكومة الفرنسية، وممثليها الرسميين».

وفي ذلك اليوم ٦ يونيه ١٩٤٤، بدأ إنزال قوات الحلفاء في نورماندي.

وفي الفترة بين ٨ و٢٠ يونيه ١٩٤٤، توالت اعترافات كثيرة بالحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية من تشيكوسلوفاكيا، وبولندا، وبلجيكا، ولوكسمبورج، ويوغسلافيا، والنرويج.

في ١٣ يونيه ١٩٤٤، سافر ديجول ليشرف على المعارك قرب الساحل الفرنسي في نورماندي. وفي صباح ١٤ يونيه، رست به البارجة «لا كومباتانت»، بقيادة النقيب باتو، عند الكورسول، بالقرب من بورتسموث، وسط فيلق كندي. ثم ذهب إلى مقر القيادة العامة، وقابل الجنرال مونتجومري، قائد قوات الحلفاء هناك، الذي شرح له خطة هجوم القوات الأمريكية من جهة الغرب لتستولي على شربورج، وهجوم القوات الأمريكية من جهة الشرق، لتستولي على مدينة كان.

أخذ ديجول يتفقد المواقع؛ ليؤكد أن كل نقطة يتم تحريرها لابد أن تصير خاضعة لحكومته. ودخل إلى مدينة نورماندي، واستقبله عمدتها دوديمان، وأعضاء المجلس البلدي، وساروا جميعاً على الأقدام، من شارع إلى شارع، وسط ذهول الأهالي، الذي تحول إلى هتاف وحماسة شديدة، وأحاطت الجماهير به تصافحه وتحييه. ثم دخل إلى

مبنى المحافظة، وألقى خطبة فيهم، وبشرهم بنصر فرنسا القريب.

في يوم ١٥ يونيه ١٩٤٤، عاد إلى بورتسموث، ومُنح صليب الحرب للبارجة «لا كومباتانت»، وهي البارجة التي غرقت، بعد ذلك، في الحرب مع الألمان. ثم وصل إلى الجزائر في ١٧ يونيه ١٩٤٤، وهناك جاءته أخبار انتصارات الحلفاء المتتالية في إيطاليا، ودخولهم العاصمة روما. وسافر ديجول إلى إيطاليا في ٢٧ يونيه ١٩٤٤، وقابل نواب بونومي، رئيس الحكومة الجديد هناك، ثم في ٣٠ يونيه١٩٤٤، ذهب إلى الفاتيكان، والتقى البابا بيوس الثاني عشر، واتفقا على إقامة العلاقات وتوطيدها في المستقبل.

في ٦ يوليه ١٩٤٤، سافر ديجول إلى واشنطن، تلبية لدعوة الرئيس الأمريكي، فرانكلين روزفلت، الذي استقبله في البيت الأبيض، ودارت المباحثات ثلاثة أيام متتالية، أقام ديجول في بلير هاوس، واستقبل، في مقر السفارة الفرنسية، معاوني الرئيس الأمريكي، ومن بينهم وزيرا الحربية والبحرية، كما استقبل في بلير هاوس كثيرا من الشخصيات، على رأسها هنري والاس، نائب الرئيس الأمريكي.

أثناء المباحثات مع الرئيس الأمريكي، عرض الرئيس الأمريكي فكرة إنشاء مجلس دولي من أربع دول هي: الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفييتي، والصين، وبريطانيا، ليتولى تسوية مشاكل العالم، ويتشكل إلى جواره برلمان يضم مندوبين من دول العالم. وطلب منه ديجول أن تكون فرنسا ضمن الدول الكبرى، ووعده روزفلت ببحث الأمر. ثم زار ديجول نيويورك، ثم زار كندا، ونزل ضيفاً على الحاكم العام، الكونت داتلون، وزوجته، الأميرة أليس، عمة الملك جورج السادس. ثم عاد في ١٣ يوليه ١٩٤٤، إلى الجزائر.

كانت القوات الفرنسية التابعة لديجول، والتي شاركت في الحرب عام ١٩٤٤ مع دول الحلفاء كالتالي: جيش ميدان عدته ٢٣٠ ألف فرد، وقوات يبلغ تعدادها ١٥٠ ألف فرد، وأسطول حمولته ٣٢٠ ألف طن، يقوده ٥٠ ألف بحار، ويضاف إليه سفن شحن ونقل، حمولتها مليون ومائتا ألف طن، وسلاح جو مكوّن من ٥٠٠ طائرة يقوم على خدمتها ٣٠ ألف فرد. إضافة إلى أفراد المقاومة داخل فرنسا، والذين تكاثر عددهم، وبدؤوا حرب عصابات ضد الألمان، في كمائن يندفعون منها ويشتبكون مع الألمان، أو

ينزعون قضبان السكك الحديدية، ويستولون على القاطرات، أو يهاجمون دوريات الألمان، أو يشعلون النيران في مستودعات الوقود، ومخازن الذخيرة. ثم تشكل الجيش السري من بداية عام ١٩٤٣ من نحو ٤٠ ألف رجل، وصل عددهم، بعد عام، إلى ١٠٠ ألف، ثم في أثناء حرب التحرير، إلى ٢٠٠ ألف. وكانوا يتلقون العتاد والمال والدعم من حكومة ديجول. وأخذت طائرات الحلفاء تلقي عليهم بالمظلات البنادق، والرشاشات، والقذائف، والمسدسات، والهاون، وكانت هذه الأسلحة ـ رغم الاحتياطات الزائدة ـ يصل نصفها إلى أيدي الألمان. وحرص ديجول على إنشاء «لجنة عمل» تتبعه وتشرف على متابعة أعمال المقاومة، وربط أفرادها بالقيادة الفرنسية، ووضع في كل منطقة إدارية مندوباً عسكرياً، يحافظ على الصلة بالمجموعات المسلحة في منطقته، وربطها بالمركز الرئيسي، عن طريق الوسائل اللاسلكية. وفي مارس ١٩٤٤، أمر ديجول بتنظيم أفراد القوات الفرنسية في الداخل، في وحدات عسكرية، حسب النظم المتبعة في الجيوش.

شارك الفرنسيون إلى جانب باقي قوات الحلفاء في الحروب والمعارك البرية والبحرية والجوية، وأخذ أعداؤهم يتقهقرون أمامهم، وتتحرر فرنسا قطعة قطعة، وتمكن رجال المقاومة في الداخل من تعطيل السكك الحديدية في معظم بقاع فرنسا، مما أدى إلى تعطيل ١٨٠٠ قطار، وأكثر من ستة آلاف عربة، وتخريب جميع خطوط البرق والهاتف، واشتعلت المعارك في أواخر يونيه، وطوال يوليه ١٩٤٤. ودخلت قوات الحلفاء مدينة ليون، خلال ذلك، وزحفت في ١٥ أغسطس ١٩٤٤، إلى ساحل بروفانس، وجرينوبل، وكارنول، ولوك، وموي، ثم في ١٦ أغسطس ١٩٤٤، دخلت رايول وكافالير وسان تروبيز وسان ماكسيم، وحاصرت طولون في ١٨ أغسطس ١٩٤٤، وزحفت إلى مرسيليا، وأصبح الطريق إلى باريس مفتوحا، وكانت التظاهرات مشتعلة فيها، منذ أول يوليه ١٩٤٤، ورفع المتظاهرون في ١٤ يوليه ١٩٤٤ العلم المثلث الألوان، وأنشدوا «المارسيلياز» وهتفوا: «يحيا ديجول». وفي ١٠ أغسطس ١٩٤٤، رفع المسجونون الأعلام في نوافذ السجون، وهاجموا السجانين، وهم ينشدون الأناشيد الوطنية، كما أضرب عمال السكك الحديدية. وفي ١٥ و ١٨ أغسطس ١٩٤٤، أضربت الشرطة وعمال البريد. واستعد ديجول لنقل وحدة عسكرية فرنسية كبيرة إلى

باريس، وأن ينتقل بنفسه إليها.

غادر ديجول الجزائر في ١٨ أغسطس ١٩٤٤، إلى الدار البيضاء في المغرب، ومكث فيها بقية اليوم، ثم غادرها يوم ١٩ أغسطس ١٩٤٤، إلى جبل طارق، ثم على متن طائرة أمريكية وصل إلى موبرتوي في صباح يوم الأحد ٢٠ أغسطس ١٩٤٤، وتحرك إلى كوتانس وأفرانش وفوجير وشربورج ورين، وفي كل منها خرجت الجماهير تحييه، حاملة الأعلام، وتنشد المارسيلياز. ثم في ٢٣ أغسطس ١٩٤٤، سار في الطريق إلى لافرته، ثم برنار، ونوجان، وشارتر، وقوبل بالتظاهرات والهتافات: «عاش ديجول»، وأقام في قصر «رامبويه»، وهناك سمع راديو لندن يذيع في مساء اليوم نفسه، أن قوات المقاومة الفرنسية قد تمكنت من تحرير باريس. وفي اليوم التالي ٢٤ أغسطس١٩٤٤، أرسل الملك جورج السادس برقية إلى ديجول يهنئه فيها.

ديجول يعود إلى باريس

دخل ديجول يوم ٢٥ أغسطس ١٩٤٤، باريس بسيارته، ودخل إلى وزارة الحربية الساعة الخامسة مساء. ومن هناك، تحرك إلى دار المحافظة. ثم سار مشيا على قدميه، وسط زحام الجماهير، التي احتشدت لتحيته، وهي تهتف له، وخطب فيهم يدعو الأمة الفرنسية كلها لأداء واجب القتال، والوحدة الوطنية. وفي اليوم التالي، السبت ٢٦ أغسطس، سار على قدميه في شارع الشانزلزيه، بين مئات الألوف من الفرنسيين، وهم يحيونه بالهتافات، ويرد التحية بيديه، حتى وصل إلى ساحة الكونكورد، وأخذ يتأمل اللوفر، وتمثالي جان دارك وهنري الرابع، وقصر سان لويس، وكنيسة نوتردام الشهيرة.

بدأ ديجول إنشاء حكومة فرنسية جديدة، تتولى مهام الدولة، وتواصل الحرب ضد الألمان، وتحرير بقية الأراضي الفرنسية، لتصبح فرنسا من الدول الأوربية البارزة، بل من الدول العظمى في العالم. وأعلنت الولايات المتحدة الأمريكية في ٢٤ أكتوبر ١٩٤٤ الاعتراف رسميا بحكومة فرنسا المؤقتة، برئاسة شارل ديجول، وتلا ذلك اعتراف بريطانيا وبقية دول العالم. وفي ١٣ نوفمبر ١٩٤٥، انتخب البرلمان الفرنسي شارل ديجول رئيسا للوزراء.

عندما حضر الجنرال شارل ديجول مؤتمر يالطا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية

وانتصار الحلفاء عسكريا، أدرك أن أوروبا قد فقدت دورها العالمي، وان قوتين عظميين قد تشكلتا هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، وأنهما سوف تقتسمان النفوذ في العالم. وبحزن عميق لاحظ أن أوروبا كلها ـ لا ألمانيا وإيطاليا فقط ـ كانت الخاسر الأكبر في الحرب، وأنه لا بد من تشكيل قوة ثالثة قادرة على أن تقول لا للجبارين الحليفين ـ اللدودين، القريبين ـ البعيدين، اللذين قاما على أنقاض الإمبراطوريات الأوروبية التي راحت تغيب عنها الشمس. وهذا ما حاول ديجول تحقيقه حين تحول من الممارسة العسكرية إلى الممارسة السياسية وتوصل إلى أن يصبح رئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة.